محسن يوسف

مدينة الموتى

« ـ فتحت شوارع المدينة المكتظة بالحركة اشداقها الكبيرة، وابتلعت جميع الذين شاهدوا الجثتين ، وعندئذ : تحرك ابو ذر الغفاري . نهض واقفا وهو ينفض الغبار الذي علق بثيابه . لم يلق النظر الى الجثة الاخرى . ارسل عينيه خلف الانوار البعيدة للمدينة التي تفقد الوانها ، وتحرك ببطء . كان يتجه نحو البيوت العتيقة، حيث الظلام والسكون ، والاصدقاء الذين ينتظرونه ..... »

تجمهر الناس . طوقت المكان عشرات الدوائر ، ومع مضي الوقت اصبحت الدوائر الجديدة لا ترى شيئا من المركز . كان الخبر « اصبح سبب التجمهر خبرا يثير لديهم اكثر من احساس بالفضول . قال احد المتجمهرين وكان في الدائرة الثالثة :

ـ سمعتهم يقولون انها جثة الغفاري .

في الدائرة الرابعة تعالى صوت ، يخاطب الذين حوله :

ـ اراهن على انها جثة ابي ذر .

عرف الناس في الدوائر التالية ان ابا ذر كان يسير في وسط الشارع فدهسته سيارة حديثة تركته جثة هامدة .

في الدوائر الاخيرة عبر المتجمهرون عن افكارهم بقولهم ان الرجل سقط ميتا من شدة الجوع ، اما شوارع المدينة فحبلت بالاقاويل والاشاعات ، وهكذا تحولت الجثة وصاحبها الى مجموعة من الاساطير والخرافات ..

اقترب احد الرجال من الجثة وتفحصها بهدوء . تفحص المساحة الصغيرة التي حولها فكر للحظات . قال :

ـ لا يوجد اثار تشير الى شيء . لا دماء . لا تشويه ، يبدو وكان النوم ادركه وهو يسير .

ـ لماذا لا تقول الموت ؟. سال اخر .

اجاب الاول :

ـ ليس ميتا . لا يبدو كذلك .

ـ لكنه ميت .. قال الاخر .

لم يجب . نظر الى السماء . كانت صغيرة جدا فوقه . فكر :كم سيكون رائعا لو استطاع اجتياز هذه الاسوار ، لينطلق بعيدا . فتظهر له السماء اكبر . حاول ان يغادر مكانه لكنه لم يستطع . سمع صوتا الى جواره :

ـ احضروا طبيبا .

حلق الصوت فوق الجميع كطائر جريح . اتسعت السماء قليلا واندفع رجل يجهش في البكاء . توقف امام الجثة . مزق ثيابه . املا فمه بالعويل . سمع صوته فيالدوائرالبعيدة :

ـ ما اقسى فراقك وما اعظم حزني عليك ايها البائس . فديتك نفسي ؟.

راحت العيون تفترس المشهد :

ـ اهذا هو الطبيب ؟.. تساءل احدهم .

ـ من يكون هذا الرجل ؟.

تعالى صوت :

ـ ربما كان احد اقرباء المرحوم .

قال ثالث :

ـ لكن من ادرانا انه ابو ذر الغفاري؟ .

قال الاول :

ـ لنبحث في جيوبه ، فاذا كان الغفاري احتفلنا به كما يجب.

اضطرب الرجل المزق الثياب . امسكت به العيون البارزة خارج الاحداق . حرك احدى يديه وانتضى مدية . رفعها امام العيون .املا فمه بالعويل . سمع صوته في الدوائر البعيدة :

ـ لن اسمح لاحد بتفتيشه .

ازداد ضغط الدوائر وضاقت السماء . نظر الرجل الى المدية . رفعها الى الاعلى . حسب الذين الى جواره انه سيطعنهم بها ، لكن ما حدث انها اتجهت نحو صدره ، وتهاوى الى جانب الجثةالاولى ...